Anna Lindh Foundation
EUROMED

المندوبية الجهوية للتربية بسيدي بوزيد

المندوبية الجهوية للطفولة بسيدي بوزيد

الجمعية التونسية للحراك الثقافي
ATAC
ASSOCIATION TUNISIENNE D'ACTION CULTURELLE

الورقة البيضاء لتعليم أفضل متنوع الثقافات

الجمعية التونسية
للحراك الثقافي
ASSOCIATION TUNISIENNE
D'ACTION CULTURELLE

بمبادرة من الجمعية التونسية للحراك الثقافي ATAC

تحت إشراف رياض عبيدي وحذامي هنية

صياغة محمد المناعي

2021

تمت صياغة هذه الورقة خلال الثلاثي الرابع من سنة 2021،

في إطار الفضاء الثقافي مانديلا

مدن بين الثقافات: لتعليم أفضل متنوع الثقافات

المنجز من قبل الجمعية التونسية للحراك الثقافي بالتعاون مع مندوبيتي التربية والشؤون الثقافية بسيدي بوزيد.

بمشاركة ممثلين وممثلات عن عدد من المؤسسات التربوية الجهوية والمحلية والجمعيات في كل من معتمديات الرقاب، السعيدة، المزونة، جلمه، سيدي بوزيد الشرقية والغربية...

المدعوم من طرف مؤسسة أنا لند الأورومتوسطية للحوار بين الثقافات.

شُكراً

نتقدم بالشكر إلى الجهات التي ساندت صياغة

«الورقة البيضاء لتعليم أفضل متنوع الثقافات»

ويشرفنا التوجه بأخلص عبارات الشكر إلى

مندوبتي التربية والشؤون الثقافية بسيدي بوزيد
لانخراطهما في مسار إعداد هذه الورقة.

كما يسعدنا توجيه عبارات الشكر

للإطارات التربوية والاجتماعية التي انخرطت في
مسار صياغة هذه الورقة.

ونتوجه بالشكر أيضا

إلى كل التلاميذ والمواطنين والمواطنات الذين شاركوا
وشاركن في اللقاءات المنظمة في إطار إعداد هذه
الورقة.

ولا نستثني في شكرنا هذا:

- الفضاء الثقافي مانديلا بالرقاب
- قسم سينما المواطن المتجولة بالجمعية التونسية للحراك الثقافي
- المدرسة الابتدائية بئر الشارف بالرقاب
- المدرسة الإعدادية أسد بن فرات بالمزونة
- مركز الدفاع والإدماج الاجتماعي بسيدي بوزيد
- ديوان الخدمات المدرسية بجلمه
- المدرسة الإعدادية بجلمه
- المدرسة الابتدائية 02 مارس 1934 بقصر الحمام
- المركب الشبابي 17 ديسمبر بسيدي بوزيد
- المركب الرياضي الترفيهي بسيدي بوزيد
- المدرسة الإعدادية الخشم بالسعيدة
- بلدية سيدي بوزيد «ساحة محمد البوعزيزي » بسيدي بوزيد
- المندوبيّة الجهوية للمرأة والأسرة والطّفولة بسيدي بوزيد

للعون الذين لقيناه من قبلهم لتنظيم ورشات إعداد هذه الورقة.

ونعبر عن امتناننا لمؤسسة أنا لند الأورومتوسطية للحوار بين الثقافات التي تواصل مساندتها للجمعية التونسية للحراك الثقافي، وذلك في إطار «برنامج مدن بين الثقافات Intercultural Cities Programme»

الإطار العام

ساهمت التحولات الكبرى التي عرفتها المجتمعات خاصة بعد سنوات من هيمنة ظاهرة العولمة، في تمتين الروابط بين مختلف الحضارات والثقافات ودعم الانفتاح الاقتصادي كما ساهمت ثورة الوسائط الإعلامية ووسائل الاتصال في إلغاء الحواجز التقليدية بين الشعوب. في المقابل بقدر هذا الترابط والتواصل تدعمت ظاهرة الهيمنة والصراع بين هذه الثقافات والهويات كما تدعمت نزعات العزلة والتقوقع كوسائل تحتمي بها الثقافات الهشة والأقل قدرة على التجديد في مواجهة خطر الذوبان وهو ما نتج عنه ظواهر عالمية مصاحبة تمثلت في المد العنصري والتطرف والإرهاب والحروب والصراعات ذات الطابع الديني أو العرقي وتحولت نفس الوسائط إلى أدوات لتغذية هذا الصراع الحضاري والثقافي، كما تمظهرت هذه المشكلات على مستويات محلية وداخل المجتمعات نفسها بل داخل الفضاءات المشتركة وفي مقدمتها الأسرة والمدرسة واتخذت شكل ظواهر عزلة الأفراد وبناء حياة افتراضية موازية لواقعهم ورفض الآخر المختلف ونزعات العنصرية والتنمر والعنف بمختلف أشكاله ...

هذه المتغيرات فرضت على المجتمعات الساعية نحو الديمقراطية والتحديث التفكير في معالجة هذه الظواهر معالجة عميقة تنطلق من الأساس وتحديدا من السياسات العمومية في المجال الثقافي والمجتمعي والتربوي، معالجة تتطلب مقاربات مستحدثة تقوم على ثقافة حقوق الإنسان والتنوع الثقافي كبديل للصراع الثقافي ومن أجل الشراكة والتعايش كبديل لنبذ الآخر.

وفي هذا الإطار يتنزل مشروع فضاء ماناديلا التابع للجمعية التونسية للحراك الثقافي، حيث تعمل مختلف الأطراف المتداخلة في الشأن التربوي في تونس على توسيع التفكير في إصلاح شامل وجذري للمنظومة التربوية، هذا الإصلاح كان نتيجة لتشخيص مطول للوضع التربوي في البلاد والبحث عن نماذج ومقاربات تراعي المتغيرات التي عرفها العالم على المستوى الحضاري والثقافي وكذلك على المستوى الاقتصادي وخاصة المتغيرات التي عرفتها الأسرة التونسية وعلاقة المدرسة بمحيطها وبشكل أدق الوضع النفسي والنظام العلائقي الجديد الذي يرتب حياة الطفل التونسي في بداية القرن الواحد والعشرين. وتبدو المقاربة الحقوقية ومقاربة التعليم متنوع الثقافات من بين المقاربات المطروحة التي نسعى لتكون في صلب اهتمامات الفاعلين في عملية الإصلاح.

التشخيص

لا يمكن الانطلاق في عملية إصلاح جدية دون تشخيص معمق لواقع المنظومة التربوية، وإذ لا يتسع المجال في هذه الورقة لتشخيص شامل فإن التركيز سيكون على النقائص ذات العلاقة بالمناخ المدرسي وبظاهرة العنف وقبول الآخر سعيا للإحاطة بركن من أركان التشخيص تمهيدا للقيام بأنشطة ومقترحات.

وفي هذا الإطار، تعيش المدرسة التونسية واقعا جديدا يتسم بالتناقض، بين بنية تقليدية بطيئة التطور والمواكبة في مقابل نسق تطور سريع للمجتمع ولحياة الطفل ولمحيط المدرسة نفسها:

1 - الأهداف

ركزت أهداف عمليات الإصلاح المتتالية على ترسيخ الهوية الوطنية وتنمية الشعور بالانتماء الحضاري في أبعاده الوطنية والمغاربية والمتوسطية والإفريقية والتفتح على الثقافات والحضارات الإنسانية كما ورد بالقانون التوجيهي للتربية والتعليم المدرسي ... غير أن هذا الهدف العام والهام لم يقع تفكيكه إلى أهداف خصوصية عملية تكرس من ناحية التنوع والثراء الثقافي للهوية التونسية المتعددة ومن ناحية أخرى استثمار التنوع الثقافي العالمي.

2 - المناهج

تقتصر المناهج رغم محاولات تطويعها وتطويرها منذ الإصلاح التربوي لسنة 1958 والإصلاح التربوي لسنة 1991 وكذلك إصلاح سنة 2002 على التناول السطحي لمسألة التنوع الثقافي بل يساهم التركيز على إحدى روافد الهوية التونسية دون غيرها في تكريس العزلة وثقافة الانطواء على الذات، فالتوفيق بين الاعتزاز بالهوية الوطنية من جهة والانفتاح على الفضاء الثقافي العالمي المتنوع والمتعدد نادرا ما وجد طريقه للتحقيق في البرامج والمناهج والمضامين.

3 - المقاربات البيداغوجية

مثلت مقاربات التلقين المعتمدة إلى وقت قريب والتي تتواصل في مستويات عديدة من الحياة المدرسية للمتعلم، عائقا أمام بناء الحس النقدي لدى التلميذ متسببة في انحرافات سلوكية ومعرفية وعلائقية سمتها ضعف القدرة على النقاش وتنسيب الأفكار والأحداث والقيم

والموروثات بل النزوع نحو التقديس وهو ما يمثل حاجزا أما التعامل مع الآخر المختلف بمرونة وصعوبة قبول الآخر وقبول التنوع الثقافي .

4 - الزمن المدرسي

الزمن المدرسي الحالي الذي يمتد في حياة التلميذ من مرحلة ما قبل الحياة المدرسية (تعليم تحضيري، كتاب، أنشطة بياض الأطفال) إلى 9 سنوات تعليم أساسي و4 سنوات تعليم ثانوي وفق نسق واحد رتيب يقوم على الحضور الجسدي اليومي بمؤسسة تربوية مغلقة في علاقة بمحيطها مع نفس المجموعة البشرية من رفاق الدرس وإطار تربوي من الساعة الثامنة صباحا حتى الخامسة مساء، يمثل عزلة مفروضة على الطفل والمراهق والشاب الذي يعيش مختلف التغيرات التي تطرأ على حياته وبنيته النفسية والجسدية في عزلتة تلك وفي رتابة الزمن المدرسي الذي يهيمن على حوالي ثلاث أرباع حياته.

هذا الزمن المدرسي المكثف والمغلق يحول دون القيام بأنشطة ثقافية ورياضية ويحول دون التواصل مع بيئات أخرى متنوعة غير البيئة المدرسية. هذه العزلة المفروضة تخلق لدى الناشئة سلوكات الانغلاق ورفض الآخر وصعوبة في التعامل معه وقبوله، كما تمثل بيئة ملائمة للضغط النفسي وللعنف المتبادل بين مختلف الأطراف المتدخلة في العملية التربوية.

5 - البيئة المدرسية ونظام العلاقات داخل المؤسسة التربوية:

تقوم العلاقة التقليدية داخل مؤسساتنا التربوية على تراتبية إدارية وتربوية تكرس العلاقة العمودية بين الإدارة والإطار البشري من جهة وبين الإطار التربوي والمتعلم من جهة أخرى ... هذه العلاقة العمودية تكرسها القوانين المنظمة للحياة المدرسية القائمة على العقوبات والردع أكثر منه على الحوار والتواصل والإصغاء والتقويم والإصلاح .

أفرزت هذه العلاقة، توترا بين مختلف المتدخلين في الشأن التربوي والذي ترجمته موجات العنف بين التلاميذ من ناحية وبين التلاميذ والأطر التربوية من جهة أخرى وتحول الفضاء التربوي المغلق على نفسه إلى فضاء مختنق بسلوكات تتزايد باستمرار على غرار التنمر والعنصرية وعدم قبول الآخر.

العلاقات القائمة داخل المجال التربوي تجعل من العسير قبول التنوع وقبول المختلف من ذوي اللون المختلف ومن ذوي الدين المختلف

وكذلك من ذوي الإعاقة أو الصعوبات في التعلم وتنمو النزعات الجهوية والعائلية والقبلية بين الأفراد في عدة مناطق من البلاد. هذه الصعوبة مردها غياب الدربة لدى مختلف مكونات الأسرة المدرسية على التعامل مع الآخر سواء نقص التدريب لدى الإطار التربوي في إتباع مقاربات إدماجية تراعي التنوع في الميولات والثقافات والانتماءات والصعوبات والخصوصيات، وكذلك عدم تسلح الطفل بثقافة التعامل مع الآخر المختلف.

والنتيجة الموضوعية لهذا المناخ المتوتر، الفشل المدرسي حيث تتسبب ظواهر التنمر والتمييز والعنف في التأثير على النتائج المدرسية كما تنتهي عادة بالانقطاع المدرسي وتغذي ظاهرة العنف بجميع أشكاله داخل المؤسسة التربوية وفي محيطها.

6 - الهندسة وتوزيع الأنشطة:

ينتظم الفضاء الداخلي للمؤسسات التربوية وكذلك المؤسسات المشابهة الخاصة بالتكوين والإدماج والتي تحتضن فئة عمرية في مرحلة الطفولة والمراهقة والشباب وفق هيكلة تقليدية ففضاء قاعة الدرس صمم ليتماشى مع العلاقة العمودية التقليدية التي تربط المعلم والمدرس عموما بالمتعلم، في شكل صفوف منتظمة متجهة نحو اتجاه واحد أين يقف المدرس ليلقي درسه، هذا الشكل لا يسمح بالتفاعل السلس الأفقي بين المتعلمين ولا يدفع نحو التواصل والنقاش والنقد والحركة داخل فضاء الدرس بقدر ما يسمح بالإنصات السلبي والتقبل والانضباط والقبول والتسليم وهو ما يعرقل أي مقاربة تحاول القطع مع المقاربات التلقينية والعلاقات العمودية.

كما تفتقر الفضاءات التربوية عموما والفضاءات التربوية التي يقضي فيها التلميذ كل وقته على غرار المؤسسات التي توفر خدمات الإعاشة والإقامة ... إلى فضاءات ثقافية ورياضية تخرج المتعلم من النشاط الرسمي الجدي إلى التعبير عن مواهبه وإبداعاته وتقاسم المهارات والتجارب والخبرات مع غيره.

7 - محيط المؤسسة التربوية:

المؤسسات التربوية التونسية تكاد تكون في عزلة تامة على محيطها القريب وعلى محيطها الاجتماعي وكذلك في علاقاتها بمؤسسات أخرى داخل البلاد وخارجها .

هذا الانغلاق يساهم في تشكل محيط معادي للمؤسسة سواء بالعنف الذي يستهدف مختلف مكوناتها من تلاميذ وأطر تربوية أو يستهدف المؤسسة نفسها بالتخريب، كما يجعل من المتعلم في عزلة عن الأنشطة التي قد تنتظم خارج المؤسسة التربوية بالمنشئات الثقافية والرياضية وبالنوادي وبمنظمات المجتمع المدني والأنشطة التطوعية والمدنية التي تفتح أفاق التواصل مع الآخر وتعزز ثقافة التنوع الثقافي والتسامح وتجاوز فكرة الصدام مع الآخرين إلى بناء أنشطة مشتركة واكتشاف مهارات مختلفة.

في علاقة بالمؤسسات التربوية الأخرى داخل البلاد وخارجها لا يتيح النظام العلائقي لمؤسساتنا التربوية إقامة تعاون أو علاقات أو تواصل بين المؤسسات التربوية في مختلف أنحاء الجمهورية ويحرم المتعلم من الاطلاع على التنوع الثقافي داخل البلاد بين الشمال والوسط والجنوب وبين مدارس المدن الكبرى والأرياف والمناطق الغابية والصحراوية وما يمثله هذا التنوع من فتح أفاق المتعلم والقضاء على التقوقع وعلى بعض ترسبات القبلية والجهوية والتمييز الذي يظهر جلاء في مؤسساتنا التربوية.

فضلا عن غياب التواصل والتوأمة بين المؤسسات التعليمية التونسية والأجنبية باستثناء أمثلة قليلة معزولة، مما يحرم التلميذ من الاطلاع على التنوع الثقافي في العالم وبلدان أخرى وثقافات أخرى ويعزز ثقافة التسامح وقبول الآخر المختلف في اللون والدين والجنس والانتماء الحضاري بعاداته وتقاليده وممارساته وسلوكاته المختلفة.

إنبنى هذا التشخيص القتضب على رصد مكانة التنوع الثقافي في منظومتنا التعليمية كتمهيد للدفع بالأطراف الساهمة في الإصلاح إلى إتباع مقاربة إدماجية تقوم على التنوع الثقافي وتكريس ثقافة حقوق الإنسان.

وفي هذا الإطار تم اعتماد أنشطة متعددة أفرزت جملة من التوصيات والقترحات:

الأنشطة والأطراف المتدخلة

انطلق الاهتمام بمقاربة تنوع الثقافات بالجمعية التونسية للحراك الثقافي منذ بدايات نشاط الجمعية قبل حوالي عشر سنوات سواء في أهدافها ومحاور اهتمامها أو في الأنشطة التي تنظمها أو تشارك فيها، فتجربة السينما المتجولة سنة 2012 والتي انطلقت من عرض ونقاش أفلام سينمائية بمناطق وتجمعات ريفية مكنت الأطفال من اكتشاف هذا الفن أولا ومن المشاركة في أعمال التصوير والعرض وخاصة في النقاش والتفاعل الأفقي بين المشاركين حول محتويات مختلفة تعبر عن مشاغل ومواضيع متباينة مما عزز فكرة التواصل مع الآخر عبر مشاركته أفكاره وأحلامه وتطلعاته والتدرب على التعبير والتواصل الجماعي في فضاء مفتوح خارج الأطر المدرسية الرسمية.

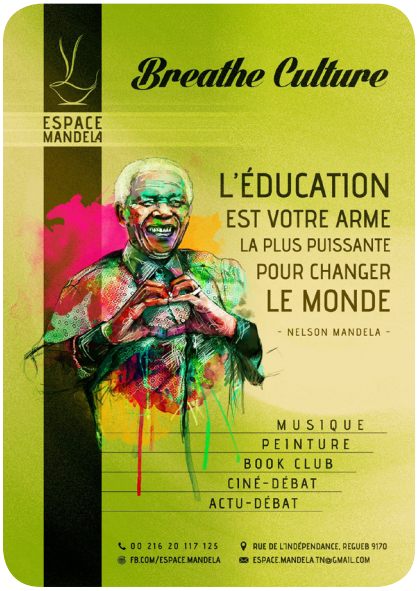

فضاء مانديلا كان لبنة أخرى في هذا التوجه، من اختيار التسمية التي تحيل على تجربة افريقية أصيلة وفريدة في مقاومة العنصرية ونشر ثقافة التسامح والتعايش بين البيض والسود وبين الثقافات المتنوعة والأصول العرقية المختلفة بل والمتصارعة. « Different Cultures - Com-mon Values»

كما مثلت أنشطته والنوادي التي يحتضنها تجسيدا لهذه المقاربة وتكريسا لها، ففضاء الموسيقى يتيح للمشاركين الاطلاع على موسيقات وفنون وتراث شعوب مختلفة شرقا وغربا فالموسيقى وسيلة ناجعة لنقل المكونات الثقافية والحضارية ودفع المتلقي لاكتشاف سهولة قبول خصوصيات الآخر مهما كانت المسافات الفاصلة.

- نادي اللغات سمح بالاطلاع على اللغة والحضارة للغات التي يتم تدريسها كنافذة للمشاركين على ثقافات جديدة مختلفة.

- نادي الكتاب الذي أثث جانب من أنشطة فضاء مانديلا وسمح بمناقشة إصدارات متنوعة من إبداعات أدبية وفكرية مثلت حافزا للاطلاع على ثقافات عالمية وتكريس ثقافة الحوار والنقد والنقاش والبحث والقبول المشترك للآخر .

- نـادي حـوار السـاعة الـذي يطـرح المسـتجدات علـى السـاحة الوطنيـة والعالميـة لتكـون موضوعـا لنقـاش مفتـوح مـع مشـاركين مـن أعمـار مختلفـة وميـولات فكريـة متنوعـة، طـرح فـي شـهر مـاي 2015 بالفضـاء الثقافـي ماديـلا بالرقـاب موضـوع «أي مدرسـة نريـد؟» عبـر سلسـلة مـن اللقـاءات الحواريـة شـارك فـي النقـاش عـدد مـن الفاعليـن فـي الشـأن التربـوي والثقافـي بالجهـة وطـرح الحضـور تشـخيصهم لنقائـص المدرسـة العموميـة ومقترحاتهـم وتصوراتهـم للإصـلاح.

مواصلـة لـدور السـينما فـي التحفيـز علـى المشـاركة والنقـاش والنقـد والاقتـراح اعتمـدت مبـادرة » مـدن بيـن الثقافـات- Intercultural Cities « خـلال سـنة 2021 علـى عـرض ونقـاش أفـلام سـينمائية تتنـاول مواضيـع التنـوع الثقافـي وتدفـع لطـرح التسـاؤل حـول أهميـة المقاربـات التـي تعتمـد علـى التنـوع الحضـاري والثقافـي ودوره فـي إرسـاء ثقافـة التعايـش ونبـذ العنـف والتعصـب والعنصريـة وشـملت العـروض السـينمائية تنظيـم سلسـلة مـن المشـاهدات المباشـرة لمخرجـات »القاعـة الطائـرة للـدروس - The Flying Classroom « تخللهـا نقـاش مفتـوح مـع التلاميـذ والإطـار التربـوي وتقديـم توصيـات ومقترحـات يمكـن اعتمادهـا فـي إصـلاح المنظومـة التربويـة عمومـا وفـي تطويـر المنـاخ المدرسـي بوسـائل ممكنـة وبالاعتمـاد علـى تجـارب مقارنـة ناجحـة.

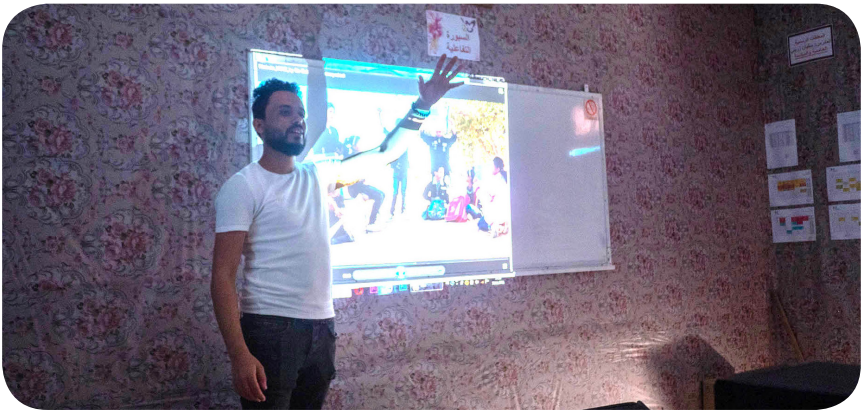
السبورة التفاعلية

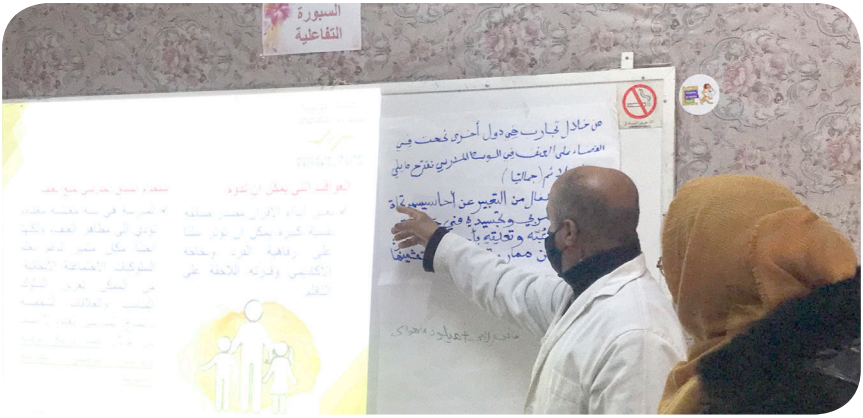
السبورة التفاعلية

- تنظيم حوار مفتوح مع المدرسين بعدد من المؤسسات التربوية لتقديم تشخيصهم للوضع التربوي بمؤسساتهم والشأن التربوي عموما ومكانة التنوع الثقافي ضمن المناهج والبرامج والمقاربات المعتمدة وكذلك مقترحاتهم حول تطوير المناخ المدرسي بمؤسساتهم عبر المقاربات المستجدة التي تأخذ بعين الاعتبار المنظومة الكونية لحقوق الإنسان والتنوع الثقافي.

- تنظيم يوم مفتوح بمناسبة اليوم العالمي للتسامح خصص للقيام بأنشطة متنوعة من رسم وموسيقى ونقاشات مفتوحة وعبر خلاله المشاركين عن تصوراتهم للتسامح بأشكال إبداعية مبتكرة .

Anna Lindh Foundation
EUROMED

الجمعية التونسية للحراك الثقافي
ASSOCIATION TUNISIENNE D'ACTION CULTURELLE

Intercultural cities
مدن بين الثقافات

لنحتفل بالتسامح: معا أفضل مع تعليم بين الثقافات
Celebrating TOLERANCE: Better together with intercultural Education

أفرزت كل هذه الأنشطة وغيرها جملة من التوصيات مصدرها المشاركين من تلاميذ ومربين وناشطين في الميدان الفني والثقافي وفاعلين عموميين.

التوصيات

انطلقت التوصيات بقولة معبّرة للتلميذة تيسير الطاهري :

" لا نستطيع العيش لوحدنا في هذا العالم "

ويمكن تبويب هذه التوصيات إلى 3 محاور كبرى تلتقي جميعها في الارتقاء بمستوى المدرسة من حيث المضمون ونظام العلاقات والارتقاء بالمناخ التربوي داخل المؤسسة التعليمية وفي محيطها وإدماج المقاربات الحقوقية والبيئية ومقاربة التعليم متعدد الثقافات ضمن مختلف الإصلاحات المقترحة:

1 - من أجل منظومة تعليمية عادلة ومنصفة تضمن تكافؤ الفرص وتراعي التنوع والخصوصية:

- مراجعة الخارطة التربوية بما يمكن من النفاذ المتكافئ لجميع التونسيات والتونسيين للمرفق التعليمي دون تمييز بين الجهات والفئات هو ما من شأنه الحد من الفوارق بين المتعلمين فالإحساس بالإقصاء محفز لمشاعر الكراهية ونبذ الآخر ومحرض على العنف.

- اعتماد مبدأ الإنصاف والعدل في ضمان الحق في التعليم للجميع على اختلاف انتماءاتهم الجهوية، الريفية والحضرية وكذلك على اختلاف خصوصياتهم من ذوي الاحتياجات الخاصة وذوي صعوبات التعلم وغيرهم ... هذا الإنصاف ضروري للإدماج وللقضاء على الشعور بالحرمان والتمييز وهو ما من شأنه بناء مدرسة عمومية منصفة وعادلة للجميع.

- تجهيز متكافئ للمؤسسات التربوية بالوسائل البيداغوجية والرقمية بهدف التعصير وكذلك كنافذة على التعليم متعدد الثقافات والذي تتيح التقنيات الرقمية الحديثة فرصا أكبر لتجسيده عن بعد.

2 - البرامج والمضامين من أجل اعتماد مقاربة تراعي المنظومة الكونية لحقوق الإنسان وتدمج مقاربة التعليم بين الثقافات:

- إعادة طرح السؤال: أي هوية نريد؟ للخروج من فكرة تجذير الناشئة في هويتهم العربية الإسلامية إلى عوالم ثقافية وحضارية أرحب

يمكن أن تكون مصدر إثراء لهويتنا المحلية التونسية سواء بالحفر في روافد جديدة مغمورة من هوية الطفل التونسي أو بالانفتاح على ثقافات متنوعة لها إسهاماتها في الموروث الإنساني.

- اعتماد مقاربة نقدية في التعليم بين الثقافات وفي اختيار الأمثلة والنماذج التي تقدم للأطفال واليافعين فهناك موروث ثقافي دموي أو عنصري أو يشجع على العنف أو يبرره كما يوجد موروث يبرر التمييز بين الجنسين، فلا بد من اختيار النماذج النيرة في الثقافة الإنسانية والجوانب المستنيرة في ثقافة كل حضارة بما يدعم الأهداف المراد تحقيقها.

- الانفتاح على مختلف الثقافات له جانب ترفيهي للأطفال خاصة الذين يقضون معظم أوقاتهم بالمؤسسة التربوية ويعتبر متنفسا يزيح عنهم الضغوط والطاقات السلبية التي قد تترجم إلى عنف.

- الأنشطة الثقافية والانفتاح على الآخر لها دور أساسي في تدريب اليافعين على قبول الآخر مهما كان شكل اختلافه.

- استثمار الموروث الشعبي من لباس وغناء ورقص وعادات في الأفراح وأكلات مميزة في التبادل الثقافي للتعريف بها وتجذيرها وضمان مواصلتها وفي ذات الوقت إفادة الآخرين والاستفادة من خصوصياتهم الثقافية.

- الأنشطة الثقافية بديل حقيقي عن الردع في علاقة الإطار التربوي بالتلميذ.

- إدماج المقاربة الحقوقية ضمن البرامج عبر التفكير في إرساء مدرسة المواطنة التي تخرج بالطفل من التعامل معه على أساس جنسه أو لونه أو مستواه الدراسي أو ميولاته الفنية والجنسية أو أصله العائلي والقبلي أو الديني إلى التعامل معه كمواطن كامل الحقوق مطالبا بواجبات وهو ما يغرس في المتعلم صورة عن نفسه وعن غيره تقوم على فكرة المواطنة وتقبل دون أدنى حواجز الاختلاف والتنوع وتعتبره إثراء لا حاجزا أمام التواصل أو سببا للإقصاء.

- التركيز على الأنشطة الفنية والإبداعية على غرار الرسم والموسيقى والسينما والرقص والمسرح... وهي أنشطة تتيح فتح آفاق أرحب للاطلاع على إبداعات ثقافية وحضارية متنوعة من داخل تونس ومن

العالم كما تتيح دعم التواصل المباشر بين المتعلمين والأطر التربوية وتمتص الضغط النفسي الذي يعيشه الطفل والمراهق داخل الفضاء التربوي.

- استثمار أوقات الفراغ لتنظيم نوادي وفق رؤية عصرية تمكن المشارك من الدربة على التواصل والتفكير والنقد واحترام المخالف ويمكن اقتراح نوادي للمسرح وللتعبير الجسماني والمطالعة ومختلف الفنون.

- اعتماد مقاربة بيئية تساهم في غرس ثقافة المحافظة على البيئة وتثمين عناصرها ضمن البرامج التربوية وكذلك الأنشطة والنوادي المدرسية.

- اعتماد ثنائية النظري والتطبيقي في مختلف المستويات التعليمية لتنمية المهارات والقدرات ولإتاحة مزيد من الفرص لاكتشاف المواهب المتنوعة والمهارات وتثمينها.

- مراجعة طرق ومناهج تدريس اللغات بما في ذلك اللغة العربية بما يمكن من تحويل دراسة اللغة من الجانب التقني إلى نافذة حقيقية على الحضارة والثقافة فاللغة ناقل للمكونات الثقافية ووسيلة للتواصل الثقافي بين الشعوب.

مراجعة التعليم الديني وتوحيده وفق مقاربة حداثية ملتزمة بالمبادئ الكونية لحقوق الإنسان واستثماره للتحفيز على قبول الآخر ونشر ثقافة التسامح والتنوع وإدانة التطرف والإرهاب.

3 - تجويد المناخ المدرسي ونظم العلاقات داخله ومراجعة علاقة المدرسة بمحيطها:

- الحد من الهوة بين مستوى العيش داخل الفضاء المدرسي والذي يتأثر بمحدودية المرافق والبنية التحتية المتداعية عامة وانعدام الرفاهية وبين مستوى عيش الطفل في محيطه العائلي هذا الاختلال يتحول تدريجيا إلى عامل منفر وإلى بناء قطيعة بين المتعلم والمدرسة التي تتحول إلى فضاء غير مرغوب فيه، مراجعة البنية التحتية للمؤسسات التربوية بما يراعي مستوى المحيط الاجتماعي للطفل مدخل أساسي لدعم جاذبية المدرسة والارتقاء بالمناخ المدرسي.

- التدخل لتحسين مناخ المؤسسة التربوية ليكون أقرب لمناخ العائلة الذي يبعث الارتياح لدى مختلف الأطراف وتنظيم الأنشطة وفق منطق ونسق جديدين كالعمل في إطار جماعي والتنظيم المشترك لحفلات تقرّب بين الجميع وتمثل فرصة لاندماج من يشكون من صعوبة الاندماج، إضافة تبادل الزيارات والدعم النفسي والتهاني والمواساة مما يكرس اللحمة بين الجميع ويقضي نهائيا على العنف.

- إعادة الاعتبار لدور المدرسة عموما والمدرسة العمومية تحديدا في المجتمع كفضاء للتربية وللتدريب على الاندماج في المحيط الاجتماعي والاقتصادي وكمصعد اجتماعي، هذا الدور الذي تراجع لعدة متغيرات يطرح ضرورة التفكير في مراجعته لا وفق نظرة ماضوية لتكرار تجارب سابقة ولكن وفق مقاربة عصرية تشاركية وإدماجية تأخذ بعين الاعتبار سرعة نسق تطور المجتمع وتصورات الأسرة والطفل للمدرسة والاهتمامات المستجدة لدى الطفل لتكون المدرسة من ضمنها وهو ما من شأنه الارتقاء بصورة المدرسة في البنية النفسية للمتعلم وفي أولويات الأسرة والمجتمع والسلطة عبر السياسات العمومية التي تتوخاها.

- إدماج البنية التحتية للمواد الفنية والرياضية والتقنية ضمن أمثلة صيانة أو إنشاء المؤسسات التربوية يمكن من إدماج هذه الأنشطة ضمن المناهج والبرامج المدرسية وتوظيفها لتحقيق الأهداف من العملية التربوية.

- مراجعة التنظيم الشكلي للمؤسسة التربوية والاهتمام بالجانب الجمالي على غرار الاهتمام بالحدائق وإثرائها بنباتات تمثل في حد ذاتها تنوع الطبيعة الوجه الآخر للتنوع الثقافي عند الإنسان ويمكن توظيف ذلك في العملية التعليمية لفهم وتفسير ايجابية التنوع.

- مراجعة النظام العلائقي داخل المدرسة ليكون الحوار والتفاعل والتواصل المباشر أكثر أفقية وأقل تراتبية وهو ما من شأنه توفير ظروف أكثر ملائمة للتعلم ويحد من الضغط المسلط على التلميذ وعلى المدرس وبالتالي القضاء على سبب رئيسي من أسباب توتر العلاقة بين مختلف مكونات الأسرة التربوية والحد من العنف.

- إرساء منظومة تعليم عن بعد وربط مختلف المؤسسات التربوية بشبكة الانترانت يتيح سهولة التواصل بين المؤسسات التربوية ويسهل إنشاء عمليات التوأمة وتبادل التجارب والخبرات بين المؤسسات التربوية في العالم.

- بقدر ما تعتبر وسائل التواصل الالكتروني الحديثة والمنصات الاجتماعية وسيلة لربط الصلة بين الأفراد والمجموعات والثقافات وبوابة مفتوحة على مختلف الثقافات فإنها يمكن أن تتحول إلى وسيلة لبث العنصرية والكراهية والتمييز وأداة تنتهك عبرها حقوق الإنسان لذلك فإن تأطير الأطفال وتدريبهم على حسن استعمال وتوظيف التقنيات الحديثة يمكن أن يحول مستعمل هذه الوسائل إلى باث للقيم ومحرض على التسامح وقبول الآخر وصانع لمحتوى مفيد يعرف بثقافته ويتعرف على نماذج من الثقافات المختلفة عبر بيان نمط عيشها وأنشطتها اليومية وعاداتها وتقاليدها ولباسها ومطبخها وأفراحها وأحزانها ... فالوسائل الالكترونية أداة ناجحة إن حسن توظيفها لتضطلع بدورها في التعليم بين الثقافات.

- تنظيم أنشطة تتناول التراث الوطني والجهوي وتراث الثقافات الأخرى.

- تنظيم أنشطة ثقافية بين مدارس مختلفة داخل نفس المنطقة وداخل تونس وبين الدول بهدف التبادل الثقافي والاستفادة من تجارب الشعوب الأخرى وموروثها.

- مراجعة علاقة المدرسة بمحيطها لفك العزلة على المؤسسة التربوية وجعلها في تواصل مع محيطها الاجتماعي وكذلك مع

المؤسسات والنوادي والأنشطة الثقافية والرياضية ومع المنشآت السياحية والمهتمة بالتراث وخاصة مع نسيج المجتمع المدني متنوع الاهتمامات... هذا الانفتاح يفتح أفاقا أرحب للمدرسة وللمتعلم للتفاعل بطرق مستجدة مع محيطه والاستفادة السلوكية والمعرفية والمهارية من التجارب التي تتوفر عبر التواصل مع الآخرين والخروج من وضعية الانغلاق التي تعرقل مسار التعلم ومسار بناء شخصية الطفل.

- كسر سلسلة العنف بتشريك الأبوين في الحوارات والأنشطة باعتبار العنف الذي يمكن أن يمارسه الطفل في محيطه المدرسي هو في جانب منه إعادة إنتاج للعنف الذي يمارس ضده داخل الفضاء الأسري.

- مراجعة الزمن المدرسي ليتلائم والزمن الاجتماعي ويسمح بهامش للترفيه وممارسة الأنشطة الثقافية والرياضية وغيرها.

- الربط بين منظومة التكوين المهني والمنظومة التربوية واعتماد التوجيه وسلاسة الانتقال بين المنظومتين مما يمكن من تثمين المهارات والميولات الفنية والإبداعية لدى التلميذ وتصريفها في الاتجاه الملائم لبناء شخصيته وتطوير مهاراته.

- حوكمة تسيير المؤسسات التربوية واستقلاليتها المالية للتمكن من دعم مواردها ومرونة استغلالها واعتماد مقاربات تشاركية في التسيير والبرمجة تقطع مع حاجز البيروقراطية والارتهان للقرارات المركزية وهو ما يمكن من اقتراح أنشطة وبرامج تتماشى وخصوصيات الجهة وخصوصيات المتعلمين.

- الإعداد المشترك لأنشطة ثقافية بين التلاميذ والإطار التربوي والأولياء بما يمكن من الحد من الهوة بينهم وتدعيم التواصل الأفقي الذي يخرج عن رتابة العلاقة التراتبية بين المدرس وتلميذه.

- اعتماد إطار تربوي مختص وتطوير مهاراته عبر التكوين والرسكلة لتبني المقاربات الجديدة وتوظيفها في العملية التعليمية والمساهمة في ربط نظام علاقة جديد مع المؤسسة التربوية ومع المتعلم تقوم على الحوار والتفاعل والتواصل وتقطع مع العلاقة العمودية القائمة على التلقين والردع.

- اعتماد الاختصاص في التدريس خاصة بالمرحلة الابتدائية وإدماج اختصاصات جديدة سواء في التدريس أو في شكل نوادي وأنشطة وفي مقدمتها التربية النفسية والاجتماعية والتربية الجنسية والصحية والبيئية.

مثلت هذه التوصيات خلاصة النقاشات مع مختلف الأطراف الفاعلة والتي يمكن أن تكون مقترحا يؤخذ بعين الاعتبار ضمن مسار الإصلاح الشامل للمنظومة التربوية.

الخلاصة

فرض الواقع المتغير للمجتمع التونسي مراجعة شاملة للمنظومات التي تدار بها مختلف جوانب حياته السياسية والثقافية والمجتمعية وتعديل التشريعات والمقاربات المعتمدة لتتماشى مع متطلبات حياته العصرية ونظام علاقاته مع العالم.

المنظومة التربوية إحدى هذه المنظومات التي تسوجب مراجعة شاملة وفق مقاربة تشاركية تأخذ بعين الاعتبار مقترحات مختلف المتدخلين والفاعلين والفاعلات وفي مقدمتهم-ن الطفل / التلميذ / المتعلم الذي تتمحور حوله مختلف أركان الإصلاح وكذلك المربين والأولياء والأسرة التونسية عموما والمجتمع المدني كفاعل أساسي جديد في الشأن الثقافي والتربوي.

هذا الإصلاح انطلق من تشخيص للواقع الحالي للمنظومة التربوية من أجل إرساء منظومة جديدة تبني على مكتسبات الماضي لكن تتجاوزها لتعتمد مقاربات عصرية تقوم على تثمين الثورة الرقمية واعتماد مقاربة حقوقية تكرس ثقافة المواطنة وخاصة إدماج التعليم متنوع الثقافات كمقاربة تعيد تموقع المدرسة في محيطها الوطني والعالمي وتعيد نظام العلاقة التي تربط المتعلم بنفسه وبالآخر وتقضي على ثقافة التمييز والعنصرية والعنف وترسي قيم التعايش والتسامح.

المرجعية والأهداف

اعتمدت منظمة اليونسكو منذ سنة 2001 الإعلان العالمي للتنوع الثقافي وذلك اعترافا بـ«ضرورة تعزيز الإمكانية التي تمثلها الثقافة بوصفها وسيلة لتحقيق الازدهار والتنمية المستدامة والتعايش السلمي على الصعيد العالمي» وقد ارتكز هذا الإعلان على مرجعية الميثاق التأسيسي لليونسكو حيث ورد بديباجته: « ... لما كانت كرامة الإنسان تقتضي نشر الثقافة وتنشئة الناس جميعاً على مبادئ العدالة والحرية والسلام، فإن هذا العمل بالنسبة لجميع الأمم يُعدّ واجباً مقدساً ينبغي القيام به في روح من التعاون المتبادل»

كما نصت المادة الخامسة من الإعلان الدولي لليونسكو حول التنوع الثقافي على :

«الحقوق الثقافية جزء لا يتجزأ من حقوق الإنسان، وحقوق الإنسان عالمية ومتلازمة ومتكافلة. ويقتضي ازدهار التنوع المبدع التحقيق الكامل للحقوق الثقافية كما حُددت في المادة 27 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وفي المادتين 13 و15 من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبناء على ذلك ينبغي أن يتمتع كل شخص بالقدرة على التعبير عن نفسه وإبداع أعماله ونشرها باللغة التي يختارها، وخاصة بلغته الأصلية. ولكل شخص الحق في تعليم وتدريب جيدين يحترمان هويته الثقافية. وينبغي أن يتمتع كل شخص بالقدرة على المشاركة في الحياة الثقافية التي يختارها وأن يمارس تقاليده الثقافية الخاصة، في الحدود التي يفرضها احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية.»

ومن هنا يعتبر التعليم متعدد الثقافات مقاربة تعليمية مستحدثة مرتبطة بالمبادئ الكونية لحقوق الإنسان وبالمواثيق الدولية في إطار مقاربات شاملة تهم الثقافة وحقوق الإنسان والتنمية المستدامة وتهدف عموما إلى التأسيس لقيم المواطنة وحقوق الإنسان الكونية والتنشئة عليها وتكريسها عبر السياسات العمومية والبرامج التعليمية والمخططات التنموية والبرامج الثقافية والرياضية وغيرها، ولهذه المقاربة أهدافا خصوصية يمكن تلخيصها في ما يلي :

- إرساء نظام تعليم منفتح على التنوع الثقافي والحضاري
- نشر ثقافة حقوق الإنسان عبر المضامين التربوية والتعليمية
- تكريس قيمة التسامح وقبول الأخر المختلف
- إدماج مقاربات النوع الاجتماعي ضمن المناهج التعليمية
- نشر ثقافة تقوم على إعلاء قيمة المساواة في الحقوق بين الفئات والأفراد ذوي الميولات والخصوصيات المتنوعة
- تثمين التنوع الثقافي والحضاري واعتباره مصدر ثراء لا مصدر صراع
- مكافحة جذور التطرف العرقي والديني وظواهر الانغلاق الثقافي
- مكافحة العنصرية والإقصاء
- إتباع مقاربة إدماجية لذوي الاحتياجات الخاصة وذوي الانتماءات المختلفة عن السائد
- القضاء على ظواهر العنف المادي واللفظي والمعنوي والعنف القائم على النوع الاجتماعي والمستهدف للفئات الهشة
- استثمار التنوع الثقافي في إثراء البرامج التعليمية والثقافية
- تبادل المهارات والخبرات بين ثقافات المجتمع الواحد المتعدد والثقافات عبر العالم
- تثمين التنوع الثقافي في حماية التراث المادي واللامادي للشعوب والمجموعات البشرية والأقليات
- تثمين التنوع الثقافي والمهارات المتنوعة في حماية البيئة والمناخ والاستفادة من تجارب الشعوب الأخرى
- حماية الموروثات الثقافية من الاندثار وإحيائها وتبادلها
- استثمار الوسائط الرقمية في التعريف بالتنوع الثقافي بين الشعوب والأفراد
- تعزيز مقاربات الثقافة المستدامة واستثمار دورها التربوي والاجتماعي والاقتصادي